'ULŪM ISLĀMIYYAH THE MALAYSIAN JOURNAL OF ISLAMIC SCIENCES
Vol. 37 No.3 (December) 2025 ISSN: 1675-5936 | eISSN: 2289-4799

مشاهد الحوار بين القادة وأتباعهم في القرآن الكريم– دراسة تحليلية

[Scenes of dialogue between leaders and their followers in the Holy Qur'an: An analytical study]

Ahmed Abedalqader Hasan Qatanany*

Faculty of Quran and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia, 71800 Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia

*Corresponding author: ahmadqatanany@usim.edu.my

DOI: https://doi.org/10.33102/uij.vol37no03.715

ملخص

عالج هذا البحث إحدى القضايا المهمة التي نعايشها في واقعنا المعاصر، وهي دعوى كثير من أتباع الحكّام الظالمين والقادة المجرمين بأنهم لا يتحملون وزر ما يُرتكب من جرائم ومظالم، بدعوى أنهم "يطيعون الأوامر" فحسب، وأن طاعتهم لوليّ الأمر واجبة شرعًا. وهنا يُطرح السؤال الجوهري: هل يُعفي هذا التبرير أصحابه من المسؤولية أمام الله يوم القيامة؟. لقد تناول القرآن الكريم هذه **الإ**شكالية في مواضع متعددة، وكشف بوضوح صفات كل من القادة الظالمين وأتباعهم، وبيّن مآلهم في الآخرة، ليكون ذلك تحذيرًا وتنبيهًا لما ينتظرهم من العذاب الأليم والعقوبة الشديدة. يهدف هذا البحث إلى مناقشة هذه القضية من خلال المنهج الوصفي التحليلي للآيات القرآنية ذات الصلة، واستنباط الدلالات المرتبطة بصفات القادة والأتباع ومواقفهم في الدنيا والآخرة، بهدف الإسهام في فهم هذه الظاهرة، والمشاركة في معالجتها، لتكون خطوة في طريق تحرير الإنسان والأوطان من الظلم والاستبداد. وقد توصل البحث إلى أن من أبرز الأساليب القرآنية في معالجة هذه الظاهرة أسلوب الحوار الذي يجري بين القادة وأتباعهم يوم القيامة، حيث يظهر التلاوم والتبرؤ المتبادل، مما يكشف عن تساوي الطرفين في المسؤولية.كما أظهرت الآيات أن كثيرًا من الصفات الذميمة التي نُسبت إلى القادة الظالمين قد وُصف بها كذلك أتباعهم، مما يدل على اشتراكهم في الجريمة واستحقاقهم للعقوبة ذاتها. ولم تميز النصوص بين الطرفين في العاقبة، بل كان الجزاء واحدًا :اللعنة والطرد من رحمة الله، والعذاب المضاعف جزاءً لظلمهم وفسادهم واتباعهم للباطل. وقد اشترك الفريقان في النتيجة بسبب اشتراكهم في الأفعال والصفات، واعتماد بعضهم على بعض في تثبيت المنظومة الجائرة .ولا نجاة من هذا المصير إلا بالتوبة الصادقة، والانفصال التام عن تلك الدائرة الظالمة والمنظومة المجرمة.

الكلمات المفتاحية : مشاهد، الحوار، القادة، أتباع القادة، دراسة تحليلية.

Abstract

This research addresses a critical contemporary issue: the claim made by many followers of tyrannical rulers and criminal leaders that they bear no responsibility for the injustices and crimes committed, asserting that they are merely "following orders" and that obedience to the ruler is a religious obligation. This raises a fundamental

Manuscript Received Date: 18/07/25 Manuscript Acceptance Date: 07/10/25 Available online: 01/12/25

©The Author(s) (2025). Published by USIM Press on behalf of the Universiti Sains Islam Malaysia. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution Non-Commercial License (http://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/), which permits non- commercial re- use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact penerbit@usim.edu.my

COPE COMMITTEE ON PUBLICATION ETHICS

question: Does such a justification absolve them of accountability on the Day of Judgment?. The Qur'an discusses this matter in numerous passages, clearly outlining the characteristics of both oppressive leaders and their followers, and revealing their fate in the Hereafter as a severe warning of the painful punishment that awaits them. This study aims to explore the issue by applying an analytical methodology to the relevant Qur'anic scenes and verses. It seeks to identify the negative traits associated with both parties and contribute to addressing this phenomenon, aspiring to be a step toward liberating people and nations from injustice and authoritarianism. The research concludes that one of the Qur'an's key methods in addressing this issue is through portraying the dialogue that occurs between leaders and their followers in the Hereafter, in which mutual blame and disavowal are exchanged—highlighting their equal responsibility. Moreover, the verses demonstrate that many of the blameworthy traits attributed to tyrannical leaders are also ascribed to their followers, indicating their shared guilt and collective deserving of condemnation. The Qur'an makes no distinction between them in terms of outcome; rather, both parties are subject to the same end: the curse and exclusion from God's mercy, and a multiplied punishment as retribution for their oppression, corruption, and alliance in evil. Their shared fate stems from their shared actions and attributes, as well as from their mutual reinforcement of an unjust system. Only sincere repentance and a decisive break from this oppressive and criminal structure offer hope of salvation.

Keywords: Scenes ,Dialogue, Leaders, Leaders' Followers, Analytical Study

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن ليكون بمثابة دستور لنا، نرجع إليه إذا أردنا أن نقي أنفسنا من الشرور والآثام، ونفزع إليه عندما نريد أن نعالج أنفسنا من الأمراض والأسقام، ونعتمد عليه لتهذيب نفوسنا وتزكية أخلاقنا، ونحتكم إليه عند تخاصمنا وتناحرنا. وقد برزت بوضوح وجلاء في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة، وهي قول كثير من جنود الحكام الظالمين في زماننا الذي لا يختلف اثنان على أنه لا يطبق فيه شرع الله: إنهم عبيد مأمورون، يفعلون ما يؤمرون، وإذا لم يفعلوا ذلك يفقدون عملهم ورزقهم ووظيفتهم، وإنهم إذا لم يفعلوا ذلك بأنفسهم سيفعله غيرهم، وإن أعمالهم يسيرة لا ترتقي للكبائر، والإثم إن حصل فإنما يقع على الآمرين.

فقررت الرجوع إلى القرآن المنبع الأول لعلاج المشكلات، والإجابة عن التساؤلات، لنعرف صحة قولهم من عدمه، وسلامة فعلهم من سقمه.

وقد اجتهدت في بيان ذلك فيما تسمح به طبيعة البحث وتقتضيه الضرورة العلمية، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة، وقد ركزت في الحديث عن أتباع القادة، وليس عن القادة أنفسهم، لأن سؤال الدراسة موجه لذلك، ولأنه لا خلاف في أن المقصود بالقادة هم الظلمة والمجرمون والكافرون، وهؤلاء صفاتهم معروفة، وعاقبتهم ظاهرة.

راجيا من الله القبول والتوفيق والسداد، وما أصبت فيه من خير فمن الله، وما أخطأت أو قصرت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تمهيد

نتحدث في هذا البحث عن مصير أتباع القادة الظلمة وصفاتهم يوم القيامة كما بينه القرآن الكريم، ومن الملاحظ في جل الآيات التي فصلت هذا الأمر، أنها جاءت على شكل حوار وتخاصم بين القادة وأتباعهم في الآخرة، حيث انتهى بهم المطاف في النار، بينما نجد أساليب أخرى كقصص القرآن في مواضع وسياقات أخرى.

وهذا التنوع في أساليب القرآن في تقرير القضية الواحدة له هدف بلاغي ودعوي وفني، فالتنويع يكسب التعبير جدة وإبداعا، ويراعي حال المخاطبين جميعا، ويقرب المسألة إلى العقول والقلوب والأفئدة، ويدحض مزاعم المبطلين بمختلف الأساليب،

لئلا يكون لهم حجة. كما قال تعالى:" ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا"، وقوله تعالى:" وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا".

ونقف مع كل مشهد من تلك المشاهد، نسرد الآيات ثم نعلق عليها:

1. 1. أولا: قوله تعالى في سورة الصافات : " {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27)قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29)وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34) }

تبين هذه الآيات الكريمة حوارا دار بين فريقين في نار جهنم، الأول هم المحكومون الذين يحملون مسؤولية دخولهم في النار للفريق الثاني وهم الحاكمون، ويقولون لهم: إنكم أنتم السبب فيما وصلنا إليه، وقد قمتم بإغرائنا وغوايتنا بجميع الطرق والأساليب لاتباعكم، يقول ابن عطية في تفسيره: "عن اليمين" : والذي يتحصل من ذلك معان: منها أن يريد باليمين: القوة والشدة، فكأنهم قالوا: إنكم كنتم تغووننا بقوة منكم، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدة، فعبر عن هذه المعاني باليمين، ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي يحسنها تمويهكم وإغواؤكم، ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: إنكم كنتم تأتوننا، أي: تقطعون بنا عن أخبار الخير واليمين، ومن المعاني التي تحتملها الآية أن يريدوا: إنكم كنتم تجيئوننا من جهة الشهوات وعدم النظر وقيل: المعنى: يحلفون لنا ويأتوننا إتيان من إذا حلف لنا صدقناه، فاليمين – على هذا –: القسم". (المحرر الوجيز: 7/ 279بتصرف). والذي أراه أن اختيار القرآن لهذه اللفظة لتحتمل جميع المعاني المذكورة، وتبين أنهم استخدموا شتى الأساليب لإغوائهم وإضلالهم وحملهم على اتباعهم.

ولكن هؤلاء الحكام يتنصلون من ذلك، بأنهم لم يكن لهم عليهم من سلطان ونفوذ وحجة، إلا أنهم قبلوا ذلك واستساغوه بسبب ضلالهم وغوايتهم. فكانت النتيجة الحتمية القطعية التي لا مفر منها ولا مناص، أنهم جميعا ذائقون عذاب جهنم، ومشتركون فيه، (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون). وهذا نص محكم قطعي مقرر لهذه الحقيقة الخالدة، التي يجب أن يعيها أتباع القادة، وهي اشتراكهم في المصير مع قادتهم في الدنيا والآخرة.

ونلاحظ من خلال هذه المقطع تلك الصفات القبيحة التي كانت لهم في الدنيا ولزمتهم في العاقبة، وهي: طاغين، غاوين، مجرمين، ظالمين.

ثم نعتهم الله بصفات أخرى خاصة في يوم القيامة: وهي أنهم: نادمون على أفعالهم، ولذلك صار يلوم بعضهم بعضا على ما وصلوا إليه من عاقبة وخيمة، مستسلمون لله في أمرهم، ومقرون بالنتيجة التي حاقت بهم، وأنه حق عليهم قول الله في ذلك، وأنهم لا يتناصرون، فلا يستطيع أحد منهم أن ينصر أحدا، كما كانوا يفعلون في الدنيا، حتى الكبراء وأصحاب النفوذ لن ينصروا من اتبعوهم وكانوا من جنودهم، فكل ما كان معهم من كنوز وجنود لم تنفعهم شيئا، وكذلك الأتباع رغم كثرتهم فلا يستطيعون أن يتمالؤوا مع بعضهم للخروج من العذاب، فقد حقت كلمة ربك عليهم، وبئس المصير.

1. 2. ثانيا: قوله تعالى في سورة القصص : {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64)}.

جاء الأسلوب في هذه الآيات المباركات من سورة القصص التي أكثرت الحديث عن هذه القضية، على شكل حوار بين الله جل جلاله، وبين هؤلاء المتخاصمين المتحاورين، وكأنه جاء بعد جدالهم وخصامهم ومحاورتهم مع بعضهم، ليقطع الرب علا شأنه الحكم بقول فصل، فينادي على هؤلاء القادة الذين عُبدوا من دون الله، سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا به، ففرعون الطاغية أعلن ذلك صراحة بقوله: " أنا ربكم الأعلى"، وقوله: " ما علمت لكم من إله غيري"، ولكن القادة الطغاة الآخرين ربما لا يصرحون بألسنتهم، إلا أن سلوكهم على الأرض، وتصرفهم مع غيرهم ومَن دونهم، يقرر ذلك ضمنا، فهم يتعاملون بمنطق الآلهة المالكة المتحكمة المسيطرة التي يجب أن تطاع فلا تعصى، وينفذ أمرها دون نقاش.

وقد سماهم الله شركاء، وما صاروا شركاء له إلا بسبب اتباع الأتباع لهم، حتى صاروا يحلون الحرام ويحرمون الحلال فيُطاعون، ويظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق فلا يُعارَضون، ويحكمون بغير ما أنزل الله فيُجابون ولا يُناقشون، ويقتلون عباد الله وأولياءه ويعذبونهم فلا يُنتَقدون، وهذه الجرائم الكبرى ما كانت لتكون لولا مطاوعة الأتباع لقادتهم، وتنفيذ أوامرهم، ولولاهم لما صار القادة قادة، فهذا هو السبب في تسميتهم شركاء، وتسمية أتباعهم بالمشركين، وقد وجه الله النداء لهؤلاء الأتباع:" أين شركائي الذين كنتم تزعمون" فجريمتهم اتباعهم وتأليههم لهؤلاء الطغاة.

ويجيب الطغاة الذين فهموا أن السؤال موجه في الحقيقة إليهم، لأنهم المقصودون بوصف الشركاء، أو أن الأتباع أشاروا إليهم فأجابوا مدافعين عن أنفسهم أمام الله، ومتبرئين من أتباعهم وعبادتهم لهم، بأنهم غووا هم أولا، ثم أغووا أتباعهم ثانيا، كما ذكرت آنفا سورة الصافات:" فأغويناكم إنا كنا غاوين"، وأنهم لم يطلبوا من أتباعهم أن يعبدوهم، إلا أنهم عبدوهم من تلقاء أنفسهم. فلما دعوهم لم يستجيبوا لهم، وتبرءوا منهم، وتنصلوا من المسؤولية. فكانت النتيجة أنهم اشتركوا في العذاب جميعا.

قال الرازي: " قوله تعالى : (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) والأقرب أن هذا على سبيل التقرير؛ لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم، فالمراد أنهم لو دعوهم لم يوجد منهم إجابة في النصرة وأن العذاب ثابت فيهم، وكل ذلك على وجه التوبيخ ، وفي ذكره ردع وزجر في دار الدنيا" . (التفسير الكبير: (8/21).فالحكمة من هذا النداء والحوار توبيخهم وزجرهم، وردع غيرهم أن يكون مثلهم.

ونلاحظ في الآيات ندمهم الشديد، وتمنيهم الهداية، وإقرارهم بعدل الله والنتيجة التي وصلوا إليها بسبب ظلمهم وغوايتهم وإغوائهم، وتبرئهم من أتباعهم وأفعالهم.

1. 3. ثالثا: قوله تعالى في سورة الشعراء: {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102)}

يؤكد هذا المقطع من سورة الشعراء ما ذكرناه سابقا من تحاور وتخاصم بين القادة وأتباعهم، فتؤكد الآيات أنهم سيكبكبون في النار جميعا، وأنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا غيرهم، وأنهم من الغاوين، وتؤكد ندمهم الشديد على عبادتهم لهم، وتسويتهم بالله رب العالمين؛ لأنهم كانوا يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال فيلتزمون، ويطيعونهم طاعة عمياء مطلقة دون تفكير ولا رشد.

ثم يحملون مسؤولية ضلالهم وغوايتهم للقادة الذين اتبعوهم، وسموهم مجرمين. قال أبو حيان: " (وما أضلنا إلا المجرمون) أي: أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجرأة ، وهم ساداتهم ذوو المكانة في الدنيا والاستتباع". (البحر المحيط: (28/7).

كما أنهم يقرون بالحقيقة التي رأوها بأعينهم، أن لا شفيع فيشفع لهم، ولا صديق فتنفع صداقتهم له، فيتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ليؤمنوا الإيمان الحقيقي المطلوب، وأنى لهم ذلك.

ونلاحظ هنا أن القرآن اعتبرهم من المشركين لتسويتهم قادتهم بالله في الطاعة والحب والامتثال والولاء والانتماء، ولا ينبغي قصر المعنى المراد من الآيات على المشركين عبدة الأحجار والأوثان فقط، فهذا يحجر دلالة المعنى القرآني البليغ الواسع، بالإضافة إلى أن قولهم:" وما أضلنا إلا المجرمون" يؤكد ذلك، فالأصنام لا توصف بالإجرام لأنها لا تضر ولا تنفع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء الذين أُشرِكوا مع الله في الربوبية والألوهية بشر وليسوا أصناما، فالصنم لا يوصف بأنه من الغاوين، ولا يتمنى الهداية لأنه حجر، ولفت النظر إلى هذه النقطة مهم جدا؛ للرد على من يزعمون أن هذه الآيات في حق الأصنام التي عبدت من دون الله، ولا يوسعون عقولهم في فهم مدلول الآيات، أو خوفا من أن تنطبق عليهم، فكل من انحرف عن القرآن انحرافا بينا، وكان قدوة متبوعاً فهو من الشركاء؛ لأنه يتسبب في فساد المسلمين وإفسادهم، أو غوايتهم وإضلالهم.

1. 4. رابعا: قوله تعالى في سورة البقرة: " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)}

هذه الآيات من سورة البقرة فيها تأكيد لما قررناه سابقا وإضافات أخرى، فأول لفتة تلفتنا أنها من سورة مدنية، لبيان أن هذه القضية اعتنى بها القرآن المكي والمدني، لأنه أمر مهم ومتكرر في كل مكان وزمان، فالأمر لا يتعلق بمرحلة استضعاف في مكة ومرحلة دولة في المدينة، بل التحذير واجب في كل حين، ولا عذر لأحد أن يكون من أتباع القادة الظلمة سواء كان المسلمون في مرحلة ضعف أو مرحلة قوة.

وثمة لفتة أخرى أن القرآن سماهم هنا أندادا، وهذا وصف آخر للقادة المتبوعين، يوحي بأنهم –أي الاتباع– جعلوهم لله ندا، يقول محمد رشيد رضا: " والأنداد عند جمهور المفسرين أعم من الأصنام والأوثان ، فيشمل الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعا دينيا" (تفسير المنار: 54/2) .

وذكرت الآيات مثالا على ذلك بالحب، أي أنهم أحبوهم كحب الله، وهاهنا إشارتان مهمتان دقيقتان بليغتان: الأولى: أن هؤلاء القوم مؤمنون بالله، وأنهم يحبونه، فليسوا في أصلهم كافرين، وهذا رد على من يزعم أن الحديث يقتصر فقط على الكفرة والمشركين. والثانية: أنه يجب تقديم حب الله تعالى على كل شيء، وأنه لا يجوز حتى مجرد المساواة في الحب بين الله عز وجل ومن اتخذوهم أندادا، والحب مثال على المشاعر والسلوكيات من الأتباع تجاه قادتهم؛ لأن مقتضى ذلك تقديم أوامرهم على أوامره تعالى، فهذا الوصف يعم ويشمل الولاء والانتماء، والالتزام بالأوامر والامتثال لها حتى لو كانت مخالفة لمنهج الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، والطاعة العمياء المطلقة.

وتؤكد الآيات على وصف هؤلاء جميعا بالذين ظلموا، كما تؤكد مرة أخرى على تبرؤ القادة :"الذين اتُّبعوا" من أتباعهم :"الذين اتَّبعوا" يوم القيامة، وأنهم جميعا سيرون العذاب ويذوقونه ويشتركون فيه، وأنه لا حبال بينهم فينتصرون، بل كل سيؤول إلى مصيره المحتوم المذموم.

وتبين الآيات ندم الأتباع الشديد وتمنيهم العودة إلى الدنيا، ولكن هذه المرة ليس من أجل الإيمان كما ذكرت سورة الشعراء، ولكن من أجل التبرؤ من القادة الذين خذلوهم يوم القيامة، ولن يكون لهم ذلك، بل سيبقون متحسرين نادمين بسبب أعمالهم السيئة الظالمة المجرمة، ولأن الله أعطاهم الفرصة الكاملة فلم يستغلوها، وأمهلهم الإمهال اللازم فلم يرعووا.

فكانت النتيجة والعاقبة الوخيمة التي حلت عليهم بقول رباني فصل وقرار إلهي قاطع:" وما هم بخارجين من النار" فليست النتيجة هنا اشتراكهم في العذاب فقط، بل خلودهم في النار كذلك، لا يخرجون منها أبدا. والعياذ بالله.

1. 5. خامسا: قوله تعالى في سورة سبأ: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33)}

تبين هذه الآيات حوارا جديدا بين الظالمين: القادة وأتباعهم، الذين سماهم القرآن في هذا المقطع بالذين استضعفوا، وفي هذا إشارة مهمة، وهي أن التبرير بالضعف ليس حجة عند الله، فالضعف لا يعطي صاحبه صكا بجواز الظلم والكفر. بينما سمى القادة بالذين استكبروا، لأن أفعالهم التي بها يستعلون على عباد الله تدل على تكبر واستكبار.

وفي هذه الآيات إشارة إلى أن هؤلاء الظلمة على طبقات، ففي هذا المقطع اتهمت طبقة الضعفاء طبقة المستكبرين بأنهم هم من أمروهم باتخاذ الأنداد من دون الله، فالضعفاء طبقات ومراتب، والمستكبرين طبقات ومراتب، أعلاها الزعماء الذين عبدوا من دون الله، فصاروا أندادا لله وشركاء له في العبادة.

وفي هذا المقطع من المعاني الإضافية الأخرى، تعدد مواضع التخاصم، فكأنهم يتخاصمون في كل وقت يسمح لهم بأن يروا فيه بعضهم، ففي آيات سابقة كان التخاصم بينهم وهم في النار، وتخاصمهم عند رؤية العذاب الذي سيحل بهم، وهنا يتخاصمون وهم موقوفون عند ربهم.

وتؤكد الآيات مرة بعد مرة على هذه القضية لتستقر في النفوس، فالأتباع يحملون مسؤولية كفرهم وظلمهم لقادتهم، وأنهم كانوا يمكرون في الليل والنهار لإخراجهم من الإيمان إلى الكفر والشرك، ولكن القادة يتبرؤون منهم، ويتنصلون من المسؤولية.

وفي حين وصف الأتباع قادتهم بالإجرام في المقطع السابق، فالقادة يصفونهم هنا بالوصف نفسه "بل كنتم مجرمين"، وهذا أمر عجيب، فالإجرام ليست صفة المستكبرين فقط، بل صفة الذين استضعفوا أيضا؛ لأنهم نفذوا أوامرهم بالكفر والشرك والظلم والطغيان، فاستووا في الوصف واشتركوا فيه، والأعجب أن القادة يعلمون في قرارة أنفسهم وهم يستضعفون هؤلاء أنهم مجرمون، لكنهم لا يخبرونهم بذلك لئلا ينفضوا عنهم.

ولكن كل ذلك الجدال لن ينفعهم بعدما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ولذلك ندموا أشد الندم، ولات حين مندم.

ولا بد من التنبيه مرة أخرى أن المجادلات يوم القيامة ليست بين الأحجار وعابديها؛ وإنما بين القادة والأتباع؛ لأن الصنم لا يوصف بالمكر حتى يقول المستضعفون بل مكر الليل والنهار؛ ولا يوصف بالظلم ولا بالقوة، والآمر بعبادة الصنم هو المعبود حقيقة. والذي يأمر لن يجد حرجا أن يأمر بعبادة السادة والكبراء والمطاعين والطواغيت والأنداد. (من موقع حسن فرحان المالكي، سلسلة حوار القادة والأتباع في القرآن الكريم، الجزء الثالث، بتصرف).

1. 6. سادسا: قوله تعالى في سورة إبراهيم : {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21)} [إبراهيم: 21]

1. 7. سابعا: قوله تعالى في سورة غافر: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48)} [غافر: 47، 48]

هذا النصان القرآنيان الكريمان من سورتي إبراهيم وغافر، سياقهما سياق واحد، لكن الأول عام، والثاني جاء بعد الحديث عن فرعون وآله، وفي هذا إشارة قرآنية، مفهومة ضمنا، وهي أن الحديث عن فرعون موسى ليس المقصود به هو نفسه فقط، وإنما كل من كان على شاكلته، والحديث عن جنود فرعون وآله وملئه ليس المقصود بهم هم أنفسهم فقط، بل كل من فعل فعلهم واقتفى أثرهم كذلك، ولذلك تجد أن القرآن يحرص أشد الحرص على دحض كل حجة قد يثيرها أتباع القادة يوم الجزاء والحساب، مرارا وتكرارا.

وفي هذين المقطعين يطلب الضعفاء من الذين استكبروا أن يحموهم من عذاب الله، أو أن يأخذوا عنهم جزءا من عذاب النار على الأقل، بحجة أنهم كانوا أتباعا لهم، يأتمرون بأمرهم وينفذون قراراتهم دون نقاش ولا تفكير، وكأنهم يظنون أنهم سينفعونهم كما كانوا ينفعونهم في الدنيا؛ إذ كانوا يحتمون بهم وبسلاحهم وبقراراتهم لصالح أنفسهم.

ونلاحظ أن هذا الحوار مختلف في سياقه عن المخاصمات السابقة، وأنه جاء بعد أن دخلوا النار واستقروا فيها؛ لأنهم كانوا في الآيات السابقة الذكر يتخاصمون في تحميل المسؤولية لبعضهم بعضا، أما هنا فيطلب الأتباع من قادتهم أن يخففوا عنهم شيئا من عذاب الله الأليم.

ولكن المستكبرين هؤلاء أيقنوا بالنتيجة التي وصلوا إليها، وعرفوا أن الموقف الآن مختلف كليا، فهم كانوا يعلمون الحقيقة أصلا، ولكنهم الآن أقروا بها أمام أتباعهم وأعلنوها. فقالوا لهم: " لو هدانا الله لهديناكم " فنحن كنا في الضلال فأضللناكم، كما قالوا سابقا: " فأغويناكم إنا كنا غاوين" ثم بينوا لهم أنه يجب عليهم جميعا أن يقبلوا ويرضوا بالمصير الذي وصلوا إليه؛ لأنه لا مفر ولا مهرب ولا نجاة من الله. والمقصود هنا بالرضا الرضا القهري الإجباري، وليس الرضا القلبي الاختياري. وفي الآية الأخرى بينوا لهم أنهم جميعا في النار مشتركون في العذاب؛ فلا يستطيعون أن يفعلوا لهم شيئا، وهذا هو حكم الله بين العباد.

وفي سبب تسميتهم بالضعفاء وعدم قبول حجتهم وعذرهم، يقول سيد قطب : " والضعفاء هم الضعفاء، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه، وجعلوا أنفسهم تبعا للمستكبرين والطغاة... والضعف ليس عذرا ، بل هو الجريمة.. وما يريد الله لأحد أن ينزل طائعا عن نصيبه في الحرية... والقوةُ المادية – كائنة ما كانت – لا تملك أن تستعبد إنسانا يريد الحرية، ويستمسك بكرامته الآدمية، فقصارى ما تملكه تلك القوة أن تملك الجسد ، تؤذيه وتعذبه وتكبله وتحبسه، أما الضمير، أما الروح، أما العقل، فلا يملك أحد حبسها ولا استذلالها ، إلا أن يسلمها صاحبها للحبس والإذلال... لا أحد إلا أنفسهم الضعيفة، فهم ضعفاء لا لأنهم أقل قوة مادية من الطغاة... إنما هم ضعفاء لأن الضعف في أرواحهم وفي قلوبهم وفي نخوتهم وفي اعتزازهم بأخص خصائص الإنسان. إن المستضعفين كثرة ، والطواغيت قلة، فمن ذا الذي يُخضع الكثرة للقلة؟... إنما يخضعها ضعف الروح، وسقوط الهمة، وقلة النخوة، والتنازل الداخلي عن الكرامة التي وهبها الله لبني الإنسان. إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير. فهي دائما قادرة على

الوقوف لهم لو أرادت. فالإرادة هي التي تنقص هذه القطعان. إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل في نفوس الأذلاء، وهذه القابلية هي وحدها التي يعتمد عليها الطغاة." (في ظلال القرآن: (2096/4).

1. 8. ثامنا: قوله تعالى في سورة الأعراف:{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39)}.

هذا المقطع القرآني العجيب، فيه إضافات مهمة على المقاطع السابقة.

الأولى: أن سياق الحوار والجدال جاء هنا وكأنه صورة مكررة في كل أمة، ولقطة واحدة من كل زمن، بل شملت الثقلين كليهما. (أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس)؛ ليبين القرآن أنه بالرغم من كثرة الرسل والكتب المبينة للناس دينهم ومنهجهم وطريقهم القويم، إلا أن الصورة في كل الأمم كانت واحدة، ليس فيها فرق كبير.. قادة مستكبرون، وأتباع مخدوعون، وكلهم في العذاب مشتركون.

الثانية: زاد السياق القرآني هنا لفظ اللعن، فهم لم يكتفوا بأن يتبرأ بعضهم من بعض، وأن يحملوا المسؤولية لبعضهم بعضا، بل صار كل منهم يلعن الآخر ويشتمه ويسبه لأنه كان سببا في دخوله النار(كلما دخلت أمة لعنت أختها)، والمقصود بالأمة هنا الجماعة من الناس، ولكن السياق اختار هذا اللفظ، ليبين أنهم كلهم على شاكلة بعضهم، فهم جماعة من أمة وزمن معين، دخلوا النار كما دخلت الجماعات من الأمم والقرون الخالية، وكلهم يلعن غيره، فاللاحق يلعن السابق، والتابع يلعن القائد، ثم يكون الجواب من السابقين والقادة اللعن لهم أيضا.

الثالثة: لا يكتفي المستضعفون أو التابعون أو اللاحقون أو الآخِرون باللعن، بل يطلبون من الله بعد أن دخلوا النار واستقروا فيها وأيقنوا بمصيرهم وأن لا نجاة لهم ولا هروب، أن يضاعف العذاب لهؤلاء القادة والزعماء والطغاة، بحجة أنهم كانوا سبب إضلالهم، ولكن الجواب الرباني يكون مفاجأ لهم : (لكل ضعف ولكن لا تعلمون)!

قال ابن منظور في لسان العرب :" وقوله عز وجل : فآتهم عذابا ضعفا من النار ; أي عذابا مضاعفا; لأن الضعف في كلام العرب على ضربين : أحدهما المثل ، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء . قال تعالى : لكل ضعف ; أي للتابع والمتبوع ; لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعا ، أي لكل عذاب مضاعف". (لسان العرب: (45/9).

فلا يجوز لأحد بعد ذلك أن يقول: ما ذنب هؤلاء المقلدين؟ إنما هم ضحية، وقد غُرِّرَ بهم وخُدعوا، فكل هذه المبررات لن تنفعهم يوم القيامة؛ لأنهم كانوا صماً لا يسمعون الحق، عمياً لا يرون الهداية، بكما لا ينطقون بالخير، ولا يفكرون بعقولهم، وعطلوا نعم الله عليهم، فكان خليقا بهم هذا الجواب.

الله أعطاهم نعمة العقل وهي مناط التكليف؛ فلا عذر لهم في ارتكاب الموبقات وانتهاك المحرمات، من ظلم وبغي وعدوان، ولذلك لا يجوز لهؤلاء أن يقتلوا أو يذبحوا أو يعذبوا البرآء المسالمين المسلمين، ثم يكون مبررهم: هم أمروني بذلك، وقالوا لي: إنه كافر، أو خارجي، أو لا يطيع ولي أمره الواجب طاعته حتى لو كان في ظلم ومعصية، إلى غير ذلك من حجج باطلة.

ولذلك يكون الجواب من المستكبرين المتبوعين: "فما كان لكم علينا من فضل"، لأننا أمرناكم فنفذتم، وأعطيناكم على ذلك الأجور ففرحتم، فاشتركتم معنا في الجريمة، فذوقوا العذاب جزاء صنيعكم القبيح هذا، كما نحن ذائقون.

1. 9. تاسعا: قوله تعالى في سورة الأحزاب : " إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)

تؤكد هذه الآيات من سورة الأحزاب، وهي سورة مدنية، ما ذكر آنفا في سورة الأعراف المكية، وهو دعاء الأتباع على قادتهم الذين سماهم الله في هذه السورة بالسادة والكبراء، وطلبهم من الله أن يضاعف لهم العذاب ضعفين، ضعفان وليس ضعفا واحدا؛ لأنهم أضلوهم عن سواء السبيل.

ثم يدعون الله عليهم باللعن، فبعد أن كانوا يلعنون بعضهم بعضا، فهم هنا يطلبون من الله أن يلعنهم ويطردهم من رحمته، ويصفون ذلك اللعن المطلوب باللعن الكبير، فهم من شدة ندمهم وتحسرهم وتألمهم مما هم فيه من العذاب، يدعون أن يحيق بسادتهم وكبرائهم لعن ليس كأي لعن، بل لعن كبير بحجم ما هم فيه من سوء العذاب وشدته.

وأرى أن هذا الدعاء يأتي في الترتيب بعد الجدال والخصام الذي كان في سياق سورة الأعراف، لأنه جاء بعد إقرارهم بما هم فيه، وبعد لعن بعضهم بعضا.

1. 10 عاشرا: قوله تعالى في سورة ص : " هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)}

في هذا المقطع القرآني من الإضافات على ما سبق ذكره من معان ومعلومات، أن الأتباع والقادة يدخلون النار، فلا يرحب بعضهم ببعض، بل يلوم بعضهم بعضا، ثم يدعون الله مفوضين الأمر إليه، بأن يضاعف العذاب على من كان السبب في دخول الآخرين النار.

وأما قوله تعالى:" إنهم صالو النار" فقال القرطبي : " قيل : هو من قول القادة ، أي : إنهم صالو النار كما صليناها . وقيل : هو من قول الملائكة متصل بقولهم: هذا فوج مقتحم معكم، و قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم هو من قول الأتباع . وحكى النقاش: أن الفوج الأول قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر ، والفوج الثاني أتباعهم ببدر، والظاهر من الآية أنها عامة في كل تابع ومتبوع ". (الجامع لأحكام القرآن: (198/15). وكلام القرطبي هو الراجح، فهي عامة حتى تشمل جميع الأزمنة والأمكنة.

ثم يظهر المقطع حوارا عجيبا آخر يدور بينهم لم يذكر في أية سورة سابقة، وهو سؤال بعضهم بعضا عن المؤمنين المظلومين الذين كانوا يستهزؤون بهم ويسخرون منهم ويعذبونهم ويقتلونهم، بل ويعدونهم من أذل الناس وأرذلهم وأكثرهم شرا، في حين كانوا يظنون أنفسهم أنهم من أهل الخير، يتساءلون عنهم وعن مصيرهم، ولم لا يرونهم معهم في عذاب النار؟ عندها بالتأكيد، سيزدادون ندما على ندمهم، إذ لم يكونوا معهم في صف المؤمنين الناجين.

ثم يختم المقطع مقررا تلك الحقيقة الخالدة الممتدة إلى أبد الدهر: "إن ذلك لحق تخاصم أهل النار".. وكأن هذا التخاصم سيستمر ولن ينقطع، فهو ليس مرة واحدة، ولن يكون في موقف واحد، بل سيستمر ويمتد ويتكرر، حتى يزدادوا عذابا إلى عذابهم، وندما إلى ندمهم، وتحسرا على تحسرهم.

2. الخاتمة والنتائج:

من خلال ما سبق سرده من آيات، وما تم ذكره من تعليقات، نجد ما يأتي:

أولا: ذكر القرآن لهذه القضية مرات عديدة يدل على اهتمام القرآن البالغ بهذه القضية، وأنها قضية حيوية وواقعية تتكرر في كل زمان ومكان، وما يهتم القرآن به فحري أن يولى الاهتمام الشديد، وأن يبين للناس كما بينه القرآن دون مواربة ولا خوف، لا يُخشى في الله لومة لائم.

ثانيا: فصل القرآن في ذكر صفات أتباع القادة وأفعالهم وسلوكهم، فذكر عشر صفات لهم في الآخرة، وهي: مقبوحون، مسؤولون(أمام الله)، مستسلمون، نادمون متحسرون، متجادلون متخاصمون، لا يتناصرون ولا يُنصرون، يلوم بعضهم بعضا، يلعن بعضهم بعضا، يتبرؤ بعضهم من بعض، يدعو بعضهم على بعض. واتساع مدى قبح هذه الصفات وكثرتها، يدل على خطورتها وضرورة الحذر منها والابتعاد عنها واجتنابها، كما بينت الآيات أن جل صفات القادة المذمومة ذكرت في وصف الأتباع، واشتراكهم في ذلك يدل على استحقاقهم الذم جميعا، وأنه لا مزية لأحد على أحد في ذلك، بل الكل مشتركون في الحكم والإثم.

ثالثا: بين القرآن أن عاقبة الأتباع في الآخرة كانت كعاقبة القادة دون تفريق بينهم، وهي اللعنة والطرد من رحمة الله، والانتقام منهم بالعذاب، فهم وقادتهم مشتركون في عذاب النار، لكل منهم ضعف من العذاب، بسبب ظلمهم وإجرامهم وبغيهم وإفسادهم، وقد اشتركوا في تلك النتيجة لاشتراكهم في الأفعال والصفات، واعتماد بعضهم على بعض، فلا ينجو أحد من ذلك إلا بالتوبة والخروج من هذه الدائرة الظالمة والمنظومة المجرمة.

رابعا: نوّع القرآن الكريم في بيان أسماء الأتباع وأصنافهم وما يقابلها من أصناف القادة، حتى لا يكون لهم عذر ولا يبقى لهم حجة؛ فلا الضعف، ولا الاتباع دون تفكير، ولا العمل كجندي، ولا التأخر في الزمن، ولا الطاعة العمياء، كل ذلك لا يقبل عند الله.

فأوصاف الأتباع (الذين اتَّبعوا / الضعفاء/ الذين استُضعفوا / الجنود/ أُخراهم/ المطيعين(أطعنا)/الذين ظلموا وأزواجهم/الذين أَشركوا) .

وأوصاف القادة (الشركاء/الأنداد/ الذين استكبروا/الذين اتُّبعوا/ السادة والكبراء/أولاهم / الظالمون/الذين ظلموا وأزواجهم).

خامسا: لا تكرار في هذه الجدالات والحوارات والخصومات، فهي وإن كان كل مقطع منها في سياق مختلف، وبألفاظ جديدة، وبإضافات ليست في غيرها، إلا أنني أرى أنها كلها ستحصل، ولكن على أنماط متعددة، وسياقات متغايرة.

فقد يكون هذا الجدال من قوم، وذاك من قوم آخرين، وهذا التخاصم من طائفة، وذاك من أمة أخرى.

وكذلك، يكون الجدال في وقت مختلف عن غيره، فمرة وهم ينتظرون الحساب، وأخرى عندما يرون العذاب، وثالثة وهم موقوفون بين يدي ربهم، ورابعة وهم يدخلون النار أول مرة، وخامسة بعد أن يستقروا فيها، وسادسة بعد أن يتيقنوا أن لا مفر منها، وهكذا.

و كذلك، يأتي سياق الجدال والحوار مختلفا عن غيره، فمرة يحملون المسؤولية لبعضهم، وأخرى يلعنون بعضهم، وثالثة يطلبون من قادتهم تحمل شيء من العذاب عنهم، ورابعة يدعون الله أن يزيد العذاب عليهم، وخامسة لا يرحبون ببعضهم بل يكرهون بعضهم بعضا، وسادسة يتذكرون الذين كانوا يقتلونهم ويعذبونهم في الدنيا، ويبحثون عنهم فيجدونهم في الجنة، وهم غارقون في العذاب، وهكذا.

تم هذا البحث بفضل الله وتوفيقه، فما كان فيه من صواب فلله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

هذا والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

References

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf al-Andalusī. Al-Baḥr al-Muḥīṭ. Beirut, Lebanon: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.

Riḍā, Muḥammad Rashīd. Tafsīr al-Qur'ān al-Ḥakīm al-Musammā Tafsīr al-Manār. Cairo: Egyptian Book Organization, 1990.

al-Rāzī, Fakhr al-Dīn Muḥammad ibn 'Umar. Al-Tafsīr al-Kabīr. Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2004 / 1425H.

al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad al-Anṣārī. Al-Jāmi' li Aḥkām al-Qur'ān. Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr.

Quṭb, Sayyid. Fī Ẓilāl al-Qur'ān. Cairo: Dār al-Shurūq, 32nd ed., 2003 / 1423H.

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn Muḥammad ibn Makram. Lisān al-'Arab. Beirut: Dār Ṣādir, 2003.

Ibn 'Aṭiyyah al-Andalusī, 'Abd al-Ḥaqq ibn Muḥammad. Al-Muḥarrar al-Wajīz. 2nd ed., Doha: Ministry of Awqāf, 2007 / 1428H.

al-Mālikī, Ḥasan Farḥān. Official Website of Hasan Farhan al-Maliki. Retrieved from: http://almaliky.org/print.php?id=1242